دراسات في التربية الكنسية الأرثوذكسية

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠٢٢

www.coptology.org

أول أكتوبر ١٩٨٦

الأخوة والأخوات الأحباء..

سلام ومحبة في الرب. سوف أكتب في ايجاز اخبارنا. ..... الشتاء دخل ورائحة مصر لا تزال في قلوبنا. شكر خاص لـ ..... الذين تحملوا عناء ضيافتي نفسيًا وماليًا. ليس لديَّ أكثر من كلمة شكر صادرة من القلب.

الموضوع العام هو التربية الكنسية عند آباء الكنيسة، وسوف أكتبه في رسالة أسبوعية لكم، مع رجاء أن تتحول إلى مادة للدراسة، أي البحث عن تطبيق عملي.

أولًا: غاية التربية الكنسية؛ هي الوصول إلى الاتحاد بالله في المسيح وبالروح القدس. والاتحاد بالله هو حاجة داخلية في الإنسان لأنه مخلوقٌ على صورة الله.

والاتحاد بالله هو نعمة الله الآب لنا في ابنه يسوع المسيح ربنا، أي أن حياة المسيح من حضن الآب -أي ولادته قبل كل الدهور حتى جلوسه بالناسوت عن يمين الآب- هي مشروع الاتحاد، أي الخطة التي وضعها الله لكي يأتي بالإنسان إلى شركة معه. هذه الخطة يعمل الروح القدس على تحقيقها، إذ يأخذ مما للمسيح ويعطي لنا في الكلمة وفي الأسرار وفي الطقوس والحياة الكنسية.

ثانيًا: طرق التربية الكنسية: في زمن الآباء، كان المعلم الكنسي يشرح خبرته الروحية على أساس الكتاب المقدس والحياة الليتورجية والتسليم الرسولي. ولكن كان هذا الشرح يعتمد على تقسيم قديم معروف في الإسكندرية منذ زمن

أكليمنضس السكندري، وهو:

أ– المبتدئين

ب– الكاملين أو البسطاء

جـ– ذوي المعرفة.

هذا التقسيم مبني على تقسيم القداس إلى قداس الموعوظين – قداس المؤمنين. وهنا، التربية الروحية أو الكنسية هي تربية للأسرة كلها، لأن قداس المؤمنين هو قداسٌ يحضره الأطفال والكبار، أي الأسرة، فلا يتم فصل الأطفال عن الآباء بعكس ما يحدث عندنا اليوم.

الكلمة:

كلمة الله في الكتاب المقدس كانت تُحفظ؛ المزامير – وصلوات الأنبياء – الوعود الإلهية. يضاف إليها ثلاثة عناصر أساسية وهي:

أ– تاريخ العهد القديم والجديد

ب– التاريخ الكنسي

جـ– النص أو الكلمة في الليتورجية (المرجع عظات القديس كيرلس الأورشليمي عن قانون الايمان والأسرار).

هذه العناصر الثلاثة تشرح الكلمة الإلهية وتربطها بالواقع، وتجعل كلمة الله تدخل في الصلوات. والمثال على ذلك هو آخر أوشية الاجتماعات: "قم أيها الرب الإله وليتفرق جميع اعدائك". هذه صلاة للاستعداد للقتال عند حمل تابوت عهد الرب. لماذا تُقال في أوشية الاجتماعات، وما هو تابوت عهد الرب عندنا؟ ولذلك إذا كان هناك درس عن تابوت عهد الرب، فإن حذف الجانب الطقسي وهو

الكلام عن العذراء، أو نص أوشية الاجتماعات، إنما يخدم المنهج البروتستانتي، رغم ان الدرس يُقال في كنيسة أرثوذكسية وبواسطة أرثوذكس.

الأيقونات[١]:

الشرح مع الأيقونة، سواء أكانت هذه الأيقونة حاضرة أم على Slide فإن الشرح يجب أن يتناول الجوانب اللاهوتية والطقسية الظاهرة في الأيقونة. فعلى سبيل المثال؛ درس عيد القيامة، يجب أن توضع أيقونة القيامة، لأنها عنصر أساسي في طقس الخماسين. المعنى اللاهوتي هو القبر الفارغ = عجز الموت. والمسيح القائم وخلفه السموات مفتوحة، لأن القيامة أدخلتنا السموات بالجسد ... الخ. أي درس عن القيامة يجب أن يدخل فيه الإشارة إلى حنوط الميرون، تطبيقًا لما سبق وذكرناه، أو شرح علامة الصليب، أو الصلاة وقوفًا، لأن الوقوف في القبطية واليونانية هو القيامة، ولذلك، للصلاة قفوا "اسطاسيتي" هي دعوة رجاء في الحضور أمام الله الحي بسبب قيامة ربنا يسوع المسيح الحي الذي يظهر أمام وجه الآب لأجلنا (عب ص ٩).

الصلاة:

يجب أن نعود إلى دراسة الصلاة من جديد، فهي ليست حديثًا مع الله. وعبارات بعض الآباء في هذا الصدد، إنما هي نابعة من نسك وممارسة ليتورجية لا علاقة لها بما لدينا الآن من ممارسات. الصلاةُ تعبيرٌ عن النعمة التي وُهِبَت لنا في الأسرار، وبشكلٍ خاص، في المعمودية والميرون.

---

(١) راجع المقدمة التاريخية عن الايقونات في كتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية.

قاعدة الصلاة هي سر التبني في المسيح وبالروح القدس. ولذلك، علينا أن ندرس أنواع الصلوات[١].

الهذيذ هو بداية دراسة الكتاب المقدس. ولكن أنواع الصلوات؛ التوسل – الطلبات – الشكر – التسبيح يجب أن نربطها بالموضوعات التالية:

التوسل: الشفاعة – التضرع خاصة بالتوبة وطلب المغفرة واحتياجات الإنسان. احتياجات الكنيسة الروحية تعبِّر عنها الأواشي في القداسات. احتياجات الفرد تعبِّر عنها الأواشي في باكر وعشية (المرضى والمسافرين) وسر مسحة المرضى.

الشكر على عطايا أرضية وسماوية معًا: صلاة الشكر.

التسبيح على الخلاص وعبور بحر الحياة المضطرب – أو البحر الأحمر والانتماء لشعب الله: الهوسات.

التمجيد: الابصاليات والذكصولوجيات لاسم ربنا يسوع المسيح.

البركة: التذاكيات لاستيعاب سر التجسد.

وطبعًا يُضاف إلى ذلك، صلوات المزامير وصلوات الأسرار الأخرى لشرح غاية التوسل.

أهم المبادئ التربوية الخاصة بالصلاة في الأرثوذكسية:

أولًا: وحدة الكنيسة، ونراها في صلوات الكنيسة من أجل الإكليروس[٢]. الشعب شريكٌ في كل الصلوات.

---

(١) راجع مقالة الصلاة للعلامة أوريجينوس.

(٢) راجع كتاب الرسامات مع صيغة الجمع.

ثانيًا: لا توجد صلاة من أجل طلب نعمة وُهِبَت في المسيح، وإنما من أجل أن تشتعل هذه النعمة فينا. نحن لا نطلب نعمة التبني بعد المعمودية، ولا نعمة حلول الروح القدس بعد الميرون، ولا نطلب من أجل أن ننال الجسد والدم، وإنما نصلي لكي نؤهَّل ونستحق. هذا يطرح علينا منهجًا دقيقًا عن عمل الله واحتياجات الإنسان.

ثالثًا: الصلاة تغرسنا في الأسرار الكنسية، لأنها أسرار تفوق العقل، فهي لذلك لا تُوهَب بالتأمل الفردي، وإنما تعطى في صلوات الجماعة، أي أنها تضبط روح الشركة الواحدة، وتجعل اشتراك الفرد في حياة الجماعة هو اشتراك احتياج وعطاء. نحن نطلب لأننا نحتاج، ونصلي معًا لأننا قادرون على أن نساهم ونتوسل. روح التوسل تطرح قضية المساواة من خلال الوعي بفقر كل أحد. ورد غنى أي إنسان إلى نعمة الله، إنما يطرح علينا إعادة النظر في موضوع السلطة ودور السلطة في التربية. سلطة الأبوين .. الخ.

رابعًا: الصلاة هي أساس فهم الطقوس الكنسية، وهذا يعني أن الطقس لا يمارَس بدون صلاة. وتربويًا؛ كل ممارسة خارجية يجب أن يرافقها المعنى الروحي الداخلي، أو أن يكون المعنى الروحي الداخلي يُعبَّر عنه خارجيًا بالسلوك المهذب الرقيق.

الطقسُ تهذيبٌ لسلوك الإنسان. رشمُ الصليب صلاة، ويسبق الأكل والقراءة، أي أننا نضع الأمور الروحية قبل الأمور الصغيرة.

والكاهن يطلب من شريكه أن يبارِك. وتربويًا، تقديم بعضنا البعض هو دعامة حياة الشركة.

دخول الهيكل بالقدم اليمنى سلوكٌ يفرض علينا الاحتراس في الدخل، مثل عدم البصق بعد التناول، أي لا تخرج كلمة رديئة من أفواهنا.

وحدة الممارسة الروحية والخارجية تعني تكوين نظرة فاحصة للسلوك الاجتماعي، واعتبار أن السلوك في الطريق، في الاتوبيس، في الحديث، هو سلوكُ مَن يبحث عن قيمة ومعنى لا مَن يتصور.

خامسًا: الصلاة والطقوس ونقاء المخيلة. الخيال هو أعظم هبات الله للإنسان. لكن الخيال الإنساني قائم على أساس عطايا الله في يسوع المسيح وبالروح القدس. هذا يعني أن كل ما نتخيله إنما يجب أن يُوضع أولًا على أساس عقيدي وطقسي، لا على أساس شطط الخيال الإنساني والبحث عن معاني غير موجودة، وتُخترَع لسد احتياجات نقص فهم الطقوس؛ مثل طريقة السجود وأصابع اليد مفتوحة، والثابت أننا نسجد بشكلٍ مختلف، ليس لأن الشيطان سقط ويديه مفتوحة. هذا خيالٌ لا أساس له في الواقع، لأن الشيطان ليس له يد، إنما السجود وأصابع اليد مضمومة دلالة على العزم على القيام، وتمييز لمعنى السجود في الطقس عن السجود في الإسلام. وبالتالي علينا أن نأخذ الصلاة كطلبة، والطقس كممارسة لكي ننقي الخيال من الجموح، حيث يتخيل الإنسان ما هو صحيح، وليس ما يتمناه.

الله واحد وثالوث. الخيال يُدرك أن الوحدة هنا هي الشمعات الثلاثة في طلبة اللهم ارحمنا في العشية وباكر، وخلف الشمعات الصليب. النور واحد، والأقانيم متمايزة ثلاثة، والطبيعة واحدة؛ كل شمعة مثل الأخرى تمامًا، ولكن الشمعة في الوسط ملتصقة بالصليب. إذن وحدة الثالوث تظهر في العمل الإلهي الواحد،

أي الخلاص، ولا نتصوَّرها بعيدًا عن العمل، فينضبط الخيال الإنساني بتأمل عمل الله وحده قبل أن يتأمل طبيعة الله.

الأخوة الأحباء. أرجو كتابة هذا الدرس وتوزيعه على أعضاء الأسرة فقط تحت عنوان دراسات في التربية الكنسية الأرثوذكسية، ووضع اسمي عليها مع عدم ذكر اسم الأسرة. أرجو يا ..... أن تحول هذه الدراسات إلى دروس ومنهج. والرسالة القادمة في الأسبوع التالي سوف تكون بعنوان منهج التربية الكنسية كما قدَّمه آباء مدرسة الإسكندرية. كل عام وأنتم جميعًا بخير. صلوا لأجلنا.

عيد الصليب

جورج حبيب بباوي